

الركائز الأساسية لطالب الدراسات الإسلامية في المرحلة الجامعية

THE MAIN PILLARS OF THE UNDERGRADUATE STUDENT OF ISLAMIC STUDIES

Brahim Ouamoumen	إبراهيم وامومن⁽¹⁾
Faculty of Letters and Human Sciences - Cadi Ayyad University - Morocco	كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض - المغرب
b.ouamoumen@gmail.com	

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الاستلام:
2021/01/31	2021/01/10	2020/12/30

الملخص:

يعالج هذا المقال بعض القضايا المهمة التي تلزم الطالب قبل اختياره للدراسات الشرعية في المرحلة الجامعية، وما ينبغي أن يتوافر فيه من الضوابط العلمية، والشروط الأساسية المعتبرة، والتي تخول له الانخراط في هذا المسار، والاندماج فيه، وفي ضمنه جواب عن سؤال محوري مهم ألا وهو، لما ذا لا يستطيع بعض الطلبة في الجامعة إتمام مشوارهم الأكاديمي؟ وما هي أسباب انقطاعهم عن الدراسة؟ وكيف يمكن تجاوز هذه الصعوبات؟

الكلمات المفتاحية: الطالب، العلوم، الشرعية، الجامعة.

Abstract:

This article deals with some of the important issues that are required for the student before choosing to pursue Sharia studies at the university, and what should be met in terms of scientific requirements, and the basic conditions considered, which enable him to join this path and to get

(1) المؤلف المُرسل: إبراهيم وامومن - الإيميل: b.ouamoumen@gmail.com

integrated into it, and it includes an answer to an important central question, namely: Why are some students at the university unable to complete their academic career? What are the reasons for dropping out of school? How can these difficulties be overcome?

Key words: Student, Science, Sharia, University.

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله.

وبعد:

لا يخفى على الدارسين والباحثين والمهتمين، أن أشرف ما تُقضى فيه الأعمار، وتبذل فيه الأموال، وتستفرغ فيه الجهود والأوقات: طلب العلم، وكفى بالعلم شرفاً أن الله تسمى بالعليم، واتصف بالعلم في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة: 76]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 11]، ووصف أنبياءه ورسله بالعلم فقال تعالى في حق (لوط) عليه السلام: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. [الأنبياء: 74]. وقال في حق (يعقوب) عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 68]. وقال في حق يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: 22]. وقال تعالى في حق داود وسليمان عليهما السلام: ﴿فَفَقَّهْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: 79]. وقال تعالى في حق خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113]. لذا كان المشتغلون بالعلم من ورثة الأنبياء والمرسلين. كما قال معلم الناس الخير: "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"¹.

لكن الطالب المشتغل بالعلوم الشرعية، يحتاج قبل أن يتبحر في بحار العلوم، ويسلك أوديتها، أن يتعلم مبادئه وأسسها، وأن يكون على علم بما هو أساسي وما هو ثانوي، أي أن يكون على دراية: بأصوله وفروعه، حيث إن الطالب في الدراسات الشرعية والإسلامية، يجب عليه أن يضع في حسابه، وأمام عينيه قبل الولوج إلى الجامعة، أموراً ضرورية تساعد في إكمال مشواره، وإتمام دراسته، وتعينه على الاندماج بشكل سلس في المنظومة التعليمية التعلمية في المستوى الجامعي.



إشكالية البحث:

الإشكالية التي يعالجها هذا البحث تبدو في العلاقة الوطيدة بين مسار التعليمي للطالب، حيث إن النتيجة داخل الجامعة مرهونة بالتكوين الذي تلقاه قبلها، وهذا يشبه تماما العلاقة المتينة بين الأسلاك الثلاثة الأولى قبل المستوى الجامعي: الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، وأي خلل أو نقص أو تقصير حصل في مستوى من هذه المستويات، سيؤثر سلبا على المستوى الذي يليه، فالعميلة إذن مركبة، ومتراصة، ومتداخلة، فإذا كنا نسلم بهذا في المستويات الأولى، ونعده أمرا ضروريا ولازما، لصحة التعلّمات، فإن اعتباره في المستوى النهائي والأخير في حياة الطالب أكد وواجب، إذ يعتبر المسار الجامعي هو الخاتمة في مسار كل طالب، فكيف يمكن أن نتحدث عن الخاتمة ونحن لم نعمل لها مسبقا.

إننا إذا أردنا أن يكون لجامعاتنا مستقبل، علينا أن نستحضر هذه المعطيات، وهذه النقط الأساسية، وهذا ما يمكن أن يلاحظ بين طالب له أساس شرعي، وجانب من التكوين في العلوم الشرعية، فاختار شعبة الدراسات الإسلامية عن قناعة وجدارة، فوجد فيها نفسه، وبين طالب آخر لم يتلقَ أي تكوين شرعي، وإنما ساقته الظروف، وحكمت عليه الأقدار، فوجد نفسه في إحدى الشعب الشرعية داخل الجامعات، حيث يوجد فارق كبير بين الأول والثاني، وبون شاسع بينهما، ومن هنا تكمن أهمية هذا الموضوع.

أسباب الدراسة:

يمكن أن نرجع الأسباب التي دعّني إلى الحديث عن هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وموضوعية:

1- **الأسباب الذاتية:** ترجع إلى أنني كنت طالبا جامعيا، ولأحظت الفرق الكبير، والبون الشاسع بين الطلبة الوافدين من المعاهد الشرعية، ومدارس التعليم العتيق، وبين الطلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم في التعليم العمومي، وكيف كانت هذه المرحلة عبئا ثقيلا على بعض الطلبة الذين ليس لهم تكوين مسبق في العلوم الشرعية، وكيف كان أولئك الذين يفدون من المدارس العتيقة يستمتعون بالمحاضرات، ويتفاعلون مع أساتذتهم، ومن هنا أدركت الفرق بين هذين الصنفين من الطلبة، وأنه لا بد من تكوين مسبق في العلوم الإسلامية قبل المرحلة الجامعية، وإلا ضاعت الجهود، ومرت الأيام من دون نتيجة.

2- **الأسباب الموضوعية:** يرجع هذا السبب إلى أن المرحلة الجامعية، مرحلة تفرض على الطالب الاعتماد على التعلم الذاتي، حتى يتغلب على كثرة المواد المقررة، وفهمها واستيعابها، وهذا ما لا يتأني لعموم الطلبة المنتمين إلى التخصصات الشرعية في الجامعات، حيث إن أغلبهم يفتقر إلى الأمور الأساسية، والمعلومات الضرورية في هذه العلوم، فكيف لطالب لم يتمكن من الأساس بعد أن يستوعب كل ما يلقي عليه من محاضرات، ويتغلب على المقررات المطولة في كل فصل أو سنة، ومن هنا نلاحظ أمرين خطيرين في الطلبة الجامعيين المتخصصين في الشعب الشرعية:

الأمر الأول: فهم الحقائق الدينية على غير فهمها، فيحصل له خلط ولبس لكثير من القضايا المتعلقة بالمعرفة الشرعية: لأنه فاتته التأسيس والتأصيل، ولذلك تعددت الأفهام والرؤى، بسبب هذا النقص الحاصل للطلبة الجامعيين، وقد تجد فهم من يخلط لك بين التخصصات الدقيقة، ويقحم نفسه فيما لا يعلمه، ويجني على نفسه وعلى الأمة أيضا.

الأمر الثاني: وهو لا يقل خطورة عن الأمر الأول، حيث تجد أفواجا من المتخرجين من الجامعات في التخصصات الشرعية وزادهم من العلم قليل جدا، ونفعهم منعدم، وأثرهم ضئيل، مع أن الأمة في حاجة ماسة إليهم، وخاصة في هذا الوقت الذي أصبح فيه العالم قرية واحدة.

أهداف الدراسة:

1- تنبيه الطلبة الجدد الذين سيتخصصون في الدراسات الإسلامية، إلى ما ينبغي معرفته قبل الولوج إلى الجامعة.

2- تجويد الدرس الجامعي، والتقدم بعجلة البحث إلى الأمام.

3- البحث عن إيجاد الحلول لبعض الصعوبات التي تواجه الطالب في المرحلة الجامعية.

منهج الدراسة:

وقد اقتضى منهج الدراسة تناول الحديث في هذا الموضوع ضمن محاور ثلاثة:

- المحور الأول: التصور العام للعلوم الشرعية.
- المحور الثاني: التأصيل في العلوم الشرعية قبل مرحلة الجامعة.

- المحور الثالث: التعرف على الأسس الأربعة التي تقوم عليها العلوم الشرعية.

ثم خاتمة في الأخير، وقد ضمنها بعض الحلول التي يمكن أن يستأنس بها الطالب في المرحلة الجامعة ليتجاوز بعض الصعوبات التي قد تواجهه، وحاولت الإيجاز والاختصار حسب ما يتطلبه المقام.

المحور الأول: التصور العام للعلوم الشرعية

مما ينبغي أن يصاحب الطالب وهو يعقد العزم على اختيار شعب الدراسات الشرعية -بعد الرغبة القوية، والنية الصادقة- أن يكون له تصور عام في العلوم الشرعية. بمعنى آخر أن تكون لديه خريطة عامة تشمل كل المواد التي تندرج ضمن التخصص، حتى لا يضل الطريق. ولهذا السبب التجأ علماء الإسلام في وقت مبكر إلى تقسيم العلوم، فجعلوا منها أصنافاً وأقساماً، منهم على سبيل المثال الإمام الغزالي رحمه الله (ت 505هـ)، حيث قسم العلوم في صدر كتابه المستصفى إلى عقلية ودينية، ثم قسم كلاً منهما إلى كلية وجزئية².

كما تحدث ابن خلدون (ت 808هـ) في مقدمته الشهيرة، في الفصل الرابع، من الكتاب السادس عن أقسام العلوم، حيث يقول: "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه.

والأول: هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها، وأنحاء براهينها، ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني: هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول؛ لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي، إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل، وهو نقلي، فرجع هذا القياس إلى النقل؛ لتفرعه عنه.

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة، وبه نزل القرآن...³.

وجرى تقسيمها عند المتأخرين إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: علوم المصادر: ويقصد بعلوم المصادر الوحي الإلهي بقسميه: القرآن الكريم والسنة النبوية، ويلحق بالقرآن علم التفسير، ويلحق بالحديث شروح كتب السنة.

القسم الثاني: علوم المقاصد: وهي العلوم التي تقصد لذاتها، وهي المستمدة من حديث الأئمة: أمين السماء جبريل عليه السلام، وأمين الأرض محمد صلى الله عليه وسلم.

القسم الثالث: علوم الآلة: وهي العلوم التي لا تطلب لذاتها، ولكن لغيرها؛ فهي آلة لعلوم المصادر وعلوم الغايات، فيُطلب للقرآن الكريم: علما التجويد والقراءات، ويطلب لعلم التفسير: علوم القرآن وأصول التفسير، ويطلب للسنة النبوية: علوم الإسناد والمصطلح والجرح والتعديل والرجال.. وغيرها من علوم الحديث المختلفة.

ويطلب لعلم الفقه: علم أصول الفقه، وعلم القواعد الفقهية، وعلم تاريخ التشريع.

ويطلب لعلم العقيدة: علم الفرق والملل والنحل، وعلم مقارنة الأديان.

ويطلب لكل ما سبق علوم اللغة العربية بفروعها المختلفة من نحو وصرف وبلاغة.

وهناك علوم مساعدة أخرى؛ كعلم المنطق، وعلم التاريخ، وغيرهما من العلوم، وتزداد أهمية معرفة علوم الوسائل خاصة في ظل التطور العلمي، وعملية (توليد) العلوم المستمرة، والتي تثمر علومًا جديدة لم تدون إلا في الأزمنة المتأخرة، كعلم النظريات الفقهية، وجغرافيا المذاهب الفقهية، وعلم المساق الفقهي وغيرها من العلوم.

القسم الرابع: وهي التي سماها طائفة من العلماء بـ: "ملح العلم"، وهي العلوم التي يحتاج إليها الطالب لتكميل بناءه العلمي، مثل: قراءة التاريخ، والأخبار، والأدب والأشعار، وتراجم أهل العلم والمناظرات، وما أشبه ذلك، فهذه ملح، الاطلاع عليها مفيد، لكن من جهلها فلا يضره الجهل بها في العلم.

المحور الثاني: التأصيل في العلوم الشرعية قبل مرحلة الجامعة

لابدً للطالب من التأصيل في العلوم الشرعية، وسلوك مسلك التدرج فيها، وهذا مبدأ لا يكاد يستغني عنه أحد، كالأبنية لا تقوم إلا على أساس متين، وإلا انهارت على رؤوس أصحابها، كذلك طالب العلم لا تستقيم له الأمور، إلا بعد أن يتمكن من ضبط أسس العلم، والأخذ بنواحيه، وإلا ضاع جهده، وتفلتت منه الأمور، وصار لا يفرق بين الأسود والأبيض، وقد يفقد البوصلة في الأخير.

قال شيخ الإسلام (ت: 728هـ) في مجموع الفتاوى: "ونحن نذكر قاعدة جامعة في هذا الباب لسائر الأمة فنقول: لابد أن يكون مع الإنسان أصولٌ كليةٌ تُردُّ إليها الجزئيات ليتكلم بعلمٍ وعدلٍ، ثمَّ يعرف الجزئيات كيف وقعت؟ وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم..."⁴.

قال ابن القيم: "من أراد علوَّ بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإنَّ البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيانٌ، وأساسُها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقاً حمل البنيان، واعتلى عليه، وإذا تهدمَ شيءٌ من البنيان سهَّلَ تداركه. وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدمَ شيءٌ من الأساس سقطَ البنيانُ أو كاد..."⁵.

والتأصيلُ له ثمرات عظيمة ترجع على طالب بالنفع الكبير، من ذلك:

- الثبات والرسوخ في العلم.
- الفلاح والنجاح؛ لأن التأصيل هو إتيان الأمور من أبوابها، كما قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [البقرة: 189]. فكل من سلك طريقاً، وعمل عملاً وآتاه من أبوابه، وطرقه الموصلة إليه، فلا بد أن يفلح وينجح ويصل إلى غايته، ومن ضيع الأصول حُرِمَ الوصول.
- التأصيل فيه فائدة قطع المراحل بسرعة. وقد قيل للحسن البصري رحمه الله: سَبَقْنَا القوم على خيلٍ دُهم، ونحن على حُمُرٍ مُعْقَرَةٍ؟ فقال: إن كنت على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

- التأصيل فيه اختصاراً للكثرة، واستفادةً من القلة⁶.

ولأهل العلم أقوال مشهورة في هذا السياق. حيث قرروا أن مَنْ لم يتقن الأصول، حُرِم الوصول. وقالوا: من رام العلمَ جملةً، ذهب عنه جملة. وقالوا: ازدحام العلم في السَّمْع مضلّة الفهم. وفي المثل أيضاً: من حفظ المتون، حاز الفنون.

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "...فلا بدّ من التأصيل والتأسيس لكلِّ فنٍّ تطلبه؛ بضبط أصله ومختصره على شيخٍ متقن، لا بالتحصيل الدّاتي وحده، وأخذًا الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾. [الفرقان: 32]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: 121]. فأمامك أمور لا بدّ من مراعاتها في كلِّ فنٍّ تطلبه:

- حفظٌ مختصر فيه.

- ضبطه على شيخٍ متقن.

- عدم الاشتغال بالمطولات، وتفاريق المصنّفات، قبل الضبط والإتقان لأصله.

- عدم الانتقال من مختصر إلى آخر بلا موجب؛ فهذا من باب الضجر.

- اقتناص الفوائد والضوابط العلميّة.

- جمع النفس للطلب والترقيّ فيه، والاهتمام والتحرّق للتّحصيل والبلوغ إلى ما فوقه، حتى تفيض إلى المطولات بسابغة موثقة⁷.

ومن هنا كان للعلماء في كثير من الفنون إسهاماتٌ متعددةٌ في التقريب والاختصار؛ لتحصيل العلم، حتى أصبح هذا ديدنهم، فلن تجد فنّاً إلّا سلك أهله طريقة التهذيب في توضيح مبادئه الأولى.

إن التمكن من الأصول يضبط المسار، ويرتّب الأفكار، وبغيابه يظهر الخلل: في تحديد الغاية والوجهة.



المحور الثالث: التعرف على الأسس الأربعة التي تقوم عليها العلوم الشرعية

باستقراء جهود العلماء في تقسيم العلوم الشرعية أرجعوها إلى أربعة أقسام⁸:

- الأصل الأول: نصوص الوحي:

أ- القرآن الكريم: فالنص القرآني نص متفرد عن أي نص كيفما كان نوعه، وهو وحي باللفظ والمعنى، وصل إلينا بالتواتر، والنظر في هذا النص نظراً ونظراً خاصاً:

فأما النظر العام: فهو أن يُوجّه طالب العلم الشرعي إلى جمع القرآن كله، حفظاً واستظهاراً. وأقل ما ينبغي حفظه إن كان ممن تأخر جمعه الثلث، ويستحسن أن يكون المجموع في البدء شاملاً للسبع الطوال؛ بما هي جامعة لأغلب آيات الأحكام، ثم لسور المفصل بما هي جامعة لآيات التزكية والتربية وما يحتاجه المؤمن في السلوك إلى ربه، وطلب معرفته تعالى.

وأما النظر الخاص: فهو تدريس آيات الأحكام، ومناهج استنباط فقها وفوائدها العلمية؛ مع ما يقتضي ذلك من التسليح بما يلزم من العلوم اللغوية، والأصولية، وقواعد الاستدلال.

بد السنة النبوية: وفيها أيضاً نظران: عام وخاص.

فأما النظر العام: فهو توجيه طالب العلوم الشرعية إلى التفقه في مجمل السنة، ومداومة النظر في كتبها؛ حتى يكون على علم بأحوال رسول الله إجمالاً، بما هو مبلغ عن الله، ومبين لشريعته؛ فالقدرة على استحضار النصوص الشرعية- من الكتاب والسنة- في أمور الدين هو أول الخطوات في طريق العلم والعمل، فإنما الأمة الإسلامية حضارة نص.

وأما النظر الخاص: فهو أن يُوجّه طالب العلوم الشرعية إلى التزلع من أحاديث الأحكام وفقها، وما يلزم لها من قواعد وعلوم؛ ذلك أن أحاديث الأحكام هي المفتاح الحقيقي لكي يفقه الطالب آيات الأحكام. فالقرآن إنما جاء في الغالب بكليات الأحكام الشرعية، بينما السنة جاءت بتفاصيلها وبيان هياتها. ولا مناص في الفقه من الجمع بين الكليات والجزئيات، ومن هنا فلا مناص من استحضار نصوص الكتاب والسنة معاً. فلا يجوز أن يكون أحدهما شاغلاً لطالب العلم الشرعي عن الآخر. وإلا اضطرب ميزان الفهم بين يديه وهو لا يدري، فيظن أنه قد علم وما هو على الحقيقة بعالم!



- الأصل الثاني: العلوم الشرعية:

يقصد بالعلوم الشرعية: العلوم الإسلامية التي انطلقت تاريخيا منذ نشأتها من نصوص الشريعة: الكتاب والسنة، ودارت حول فلكها غاية وخدمة؛ بقصد تقعيد مناهج الفهم والتطبيق لأحكامها. وهي ثلاثة أصناف: علوم القرآن والسنة، وعلم الفقه وأصوله، وعلم التوحيد والتركيب.

1- الصنف الأول: علوم القرآن والسنة:

أ- علوم القرآن: هي العلوم التي نشأت لخدمة القرآن الكريم وتيسير فهمه على الإجمال. وقد ألف العلماء في ذلك الكثير. ويدخل في ذلك المصنفات التي سميت بعلوم القرآن، وكتب معاني القرآن وما في معناها. كما يدخل في ذلك كل كتب التفسير.

فينبغي أن يحيط الطالب بمجمل مقاصد هذه العلوم؛ بما هي قواعد تنظم مناهج الفهم للقرآن. والهدف التعليمي المتوجه إليه فيها ليس تفاصيلها، فهذه سيجدها في أي مكان، وسيجدها تعرض ضمن علوم شتى؛ لتداخل العلوم الإسلامية فيما بينها، وإنما المقصود أن يضبط "منهج التقعيد" المبتوث في مصنفات هذا العلم، الذي يعرضه أهله باعتبارهم ميزان الفهم عن الله. هذا هو الأساس، وذلك هو اللب من علوم القرآن والتفسير.

ب- علوم السنة: وهي القسم الثاني من الصنف الأول، والمقصود بها هنا العلوم التي نشأت لخدمة السنة النبوية رواية ودراية.

والطالب مضطر إلى معرفة صحيح السنة من ضعيفها، وثابتها من موضوعها؛ حتى لا يكون مثل عوام "المتفقيين" ممن لا دراية لهم بهذه الصناعة؛ يوردون من الأقوال الشاذة في الفقه والعبادة ما لا أصل له، ويستشهدون لذلك، أو ربما بما كذب عليه! بما لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- الصنف الثاني علم الفقه وأصوله:

والغرض من تعلم هذا العلم القدرة المنهجية على استنباط الحكم الشرعي، بقواعده وضوابطه الاستدلالية؛ فهما وتنبؤا. وهذا لا يتأتى إلا بمعالجة النصوص الشرعية من آيات الأحكام وأحاديثها، والنظر في النوازل الفقهية وأحوالها، ومعرفة مذاهب الفقهاء المجتهدين،

ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، من الأدلة والفهوم، ومعرفة قواعد النظر الفقهي، مما استنبطه الفقهاء عبر التاريخ.

والقصد من هذا التوجيه أن يعي الطالب أن التفقه هو الجمع بين الأمرين. وأن دراسته لعلم أصول الفقه، وإتقانه له، إنما يكون بالقدرة على استيعاب قواعده، ومناهجه التطبيقية في تصوراته الكلية النظرية. ولا يكون ذلك إلا بدراسة كتب آيات الأحكام (أصول الفقه المطبق). ولابد له من دراسة القواعد الفقهية والأصولية التي تمكنه من تقريب النظريات الأصولية من مقتضيات الواقعية التطبيقية. ولابد من دراسة ملخصات المذاهب الفقهية، وعلم الخلاف العالي أو (الفقه المقارن) لأنه يفتح بصيرة الطالب على مختلف الفهوم والاستدلالات العلمية.

ولتعميق التكوين الفقهي يلزمه دراسة علم النوازل الفقهية، للتدرب على معرفة منهجية تكييف الحكم الشرعي على حسب ظروف الزمان والمكان، ومن نقصه هذا فَقَدَ الميزان الذي به يخاطب الناس بالشرعة.

3- الصنف الثالث علم التوحيد والتزكية:

علم التوحيد والتزكية: في حقيقته هو غاية الغايات ونهاية المآلات في الدين، وإغفاله أو إهماله مهلكة كبرى في العلم والعمل.

- الأصل الثالث: فقه اللسان العربي:

هذا هو مفتاح الأصول كلها، وباب العلوم جميعها. وبغيره لا يكون بدء ولا يكون وصول. وطالب العلوم الشرعية لابد أن يتقن اللسان العربي، لا اللغة العربية فقط، وإلا بقي بعيداً عن إدراك القرآن الكريم والسنة النبوية.

وبعد إقامة اللسان لابد من إتقان فن الخطابة، بما هي صناعة فنية ولغوية في مخاطبة الناس وإقناعهم، تأخذ بالتعلم النظري والتطبيقي معاً، لا غنى لأحدهما على الآخر.

- الأصل الرابع: فقه الواقع:

مفهوم فقه الواقع قديم في سلف الأمة، أصيل أثيل. وإنما التسمية هي الجديدة، وعليه كان المعول في تحقيق مناط الأحكام الشرعية في النوازل والفتاوى الفقهية. فهو جزء

لا يتجزأ من "فقه الدين"، وهو شرط صحة في الإفتاء، إذ لا تصح الفتوى إلا باعتبار معطياته، ولكن بقواعد وشروط، حددها علماء أصول الفقه، لا بالهوى السارب، أو التحكيم المطلق للعقل المجرد.

ومن العلوم الضرورية التي ينبغي لطالب العلوم الشرعية أن يدرسها من أجل فقه الواقع: مادة السيرة النبوية" بفقهها ودراسة مراحلها، وعلل قراراتها، بما يفيد الطالب في بعد النظر إلى عصره وزمانه، وترتيب الأولويات، وذلك هو معنى الحكمة، وهي زبدة العلم.

ولابد من بعض العلوم الوضعية وعلى رأسها القانون، ويكفي فيه دراسة مدخل عام مختصر لمعرفة مقاصده المعرفية، وأقسامه الكلية، ومصطلحاته التعبيرية، سواء في ذلك قسما العام والخاص. ذلك أن القانون صار يشكل اليوم جزءا من المكونات المعرفية للثقافة السياسية المعاصرة، لتحقيق مناهات الأحكام الشرعية .

ولابد من مدخل إلى علم الاقتصاد، وخاصة الاقتصاد السياسي من أجل فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية .

ولابد من دراسة مجملية للتاريخ العام، ثم التاريخ الإسلامي على العموم، مع التركيز على تاريخ بلده.

ولابد من دراسة الفكر الإنساني، والفلسفة، والمنطق.

ولابد من الإلمام بإحدى اللغات الأجنبية لتحصيل القدرة على معرفة الواقع.

وهذا يحتاج إلى جهد ونية وتخطيط، وتضافر الجهود من الجميع، طلابا وأساتذة وإدارة ووزارة... كل من جانبه، ليتخرج الطالب من الجامعة حاملا للعلوم الشرعية. والله المستعان والموفق⁹.

الخاتمة:

وفي الأخير يبقى سؤال ينبغي الجواب عليه، ونوعية هذه الأسئلة واقعية ومشروعة؛ ذلك لأن بعض الطلبة قد يتساءل، كيف يمكن للطالب في زمن يتسم بالسرعة المفرطة، وتداخل العلوم، وتشابك المصالح، وكثرة الأحداث المتسارعة، أن يستوعب كل هذه العلوم،

ويأتي عليها، وأن اختياره للدراسات الإسلامية لا يكون إلا بعد الحصول على البكالوريا، إذن كيف يمكن لمن فاتته من الطلبة التأصيل والتأسيس في المراحل الأولى للطلب، قبل المرحلة الجامعية.

والجواب عن ذلك يتحقق بعد إخلاص النية لله، والتسلح بالعزيمة القوية، والرغبة الصادقة بأمور كثيرة، من أهمها:

- الكثير من السادة الأساتذة في الجامعة، وبالضبط في التخصصات الشرعية، بفضل تجربتهم في الميدان، واحتكاكهم بطلبتهم، يعرفون هذا المشكل مسبقاً، ولذلك غالباً ما يقترحون على طلبتهم -وهم في المداخل الأولى للمحاضرات- كتاباً جامعاً أكاديمياً مختصراً ومبسّطاً وفي المتناول: في ثمنه، وأسلوبه، وطريقة عرضه للمادة، إما باختصاره، أو وضع خطاطة له... والغرض عند الأساتذة من هذا الصنيع، أن يأخذ الطالب صورة أولية حول موضوعات المادة التي يدرسها لهم، وهذا العمل بمثابة الإعداد القبلي الذي ألفوه قبل المرحلة الجامعية، وهذا الجهد أيضاً من شأنه أن يساعد الطلبة في تكوينهم العلمي من جهة، ومن جهة أخرى في فهم المحاضرات التي يلقيها عليهم أساتذتهم.

- بعض السادة الأساتذة نجدهم يقررون على طلبتهم حفظ حزب أو سورة أو آيات بعينها من المصحف الكريم، ويعتبرون ذلك في التقويم، ويتكرونها أساليب وطرق لتشجيع طلبتهم في حفظ ما تيسر من كتاب الله، ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بعض المتون الشرعية المختصرة والمركزة، والهدف من وراء هذه الخطوة، التدريب على تنمية ملكة الحفظ والاستظهار، وإحياء هذه الثقافة بين الطلبة داخل الجامعة، في التخصصات الشرعية؛ ذلك لأن العلوم الشرعية برمتها تدور حول النص المحفوظ بالدرجة الأولى.

- لوحظ في الجامعة أن بعض الطلبة يزاولون في تكوينهم بين التعليم الحضوري والتعلم الذاتي (العصامية)، فتجده يقرأ في كل مادة كتاباً أو كتابين، أو يقوم باختصارهما، ويسأل عن ما أشكل عليه أساتذته داخل الجامعة، أو يحفظ متناً له علاقة بالمادة التي يدرسها... من أجل سد النقص الذي عنده، والتغلب على التعثرات والنقائص.

- بالإضافة إلى ما سبق هناك معاهد شرعية في بعض المدن المغربية تقوم بما يسمى بـ "التكوين الموازي" فتقوم بإضافة حصص مجانية للطلبة الجامعيين في المواد التي عندهم فيها نقص، وغالبا ما يقوم بهذا أساتذتهم الذين يدرسونهم في الجامعة -مشكورين ومأجورين- يبتغون الأجر والثواب من الله تعالى.

- وهناك فئة من السادة الأساتذة الجامعيين، قاموا بوضع برنامج للطلاب الجامعي في مرحلة الإجازة، اقترحوا فيه مجموعة من المواد، تعتبر أساسية بالنسبة للطلاب، بمثابة المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يستقيم أمر الطالب إلا بالتمكن منها، وبعض الباحثين المتخصصين في المجال اقترحوا برنامجا متكاملا يفي بالغرض بعد الحصول على الإجازة، برنامجا يسد الثغرة، ويسعى لتكوين الطالب في العلوم الشرعية، سماه بـ "برنامج العالمية"¹⁰.

التوصيات

- لقد حاول البحث الإسهام في فكرة مفادها أن تدريس العلوم الشرعية ينطلق من الأساس المعرفي، وأنه لا غنى لطالب العلم عن هذه المنطلقات.

- قسم العلماء العلوم الشرعية إلى مقاصد ووسائل، وهو تصور ينبغي أن يصاحب الطالب في جميع مراحل الطلب.

- على الطالب المتخصص في العلوم الشرعية من ضبط الأول فالأول. وقد قيل: من حرم الأصول حرم الوصول.

- يلزم الطالب المتخصص في العلوم الشرعية أن يحرص كل الحرص على حفظ القرآن الكريم، أو ما تيسر له منه، وجزءا من السنة النبوية الشريفة، ويتضلع من آيات الأحكام، ومن أحاديث الأحكام ومن فقههما، وما يلزم لها من قواعد وعلوم.

- يلزم طالب العلوم الشرعية إتقان اللسان العربي كما هو في مصادره الأصلية، والاحتكاك بكتب الأدب القديم.

- واقع تدريس العلوم الشرعية في الجامعة لا يزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات والبحوث التقييمية للوقوف على آليات تطوره، واستجاباته للظروف المستجدة .

- إن التكوين الأول لدى الطالب قبل الولوج إلى الجامعة، أو بعد حصوله على الإجازة، يجعله يتغلب على الملخصات التي يعدها الأستاذ أو يقررها.
- يجب أن تتضافر الجهود لوضع منهج تجديدي، يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يحافظ على القديم الصالح، والجديد النافع.
- من ضرورات طلب العلم أن يبنى على الأصول الصحيحة، وأن يتم الترابط بين المواد المقررة، وهذا يلزم منه التسلسل المعرفي للقضايا المقررة؛ لأن ذلك يساهم في الوعي بها، وتصور بناء المصطلحات والمفاهيم.
- وصلى الله وسلم على نبيينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- ❁ القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- (1) أبحاث في البحث في العلوم الشرعية، محاولة في التأصيل المنهجي {ضوابط- مناهج- تقنيات- آفاق}، أ.د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1417هـ، 1997م.
- (2) حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1422هـ- 2002م.
- (3) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1408هـ- 1988م.
- (4) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة- مصر، (د.ط)، (د.ت).
- (5) علاقة المتعلم بالأستاذ في ظل المستجدات التربوية. سعيد حليم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، (د.ط)، 2012م.
- (6) الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 1393هـ- 1973م.
- (7) مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. ط1، 1416هـ- 1995م.
- (8) المستصفى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1413هـ- 1993م.

(9) مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية "دراسة في مفهوم العلم وصفة العالمية وظيفه وبرنامجا من خلال وصية أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ) رحمه الله تعالى"، الدكتور فريد الأنصاري، رسالة القرآن، مكناس- المغرب، ط1، 1427هـ- 2006م.

الهوامش:

- 1- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، الحديث رقم: [223]، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم.
- 2- المستصفي، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، 1413هـ- 1993م، [ص: 6].
- 3- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت- 1408هـ- 1988م، [1/ 549- 550].
- 4- مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1416هـ- 1995م، [303/19].
- 5- الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، 1393هـ- 1973م، [ص: 155].
- 6- الفوائد، ابن قيم الجوزية، [ص: 42].
- 7- حلية طالب العلم، بكر بن عبد الله أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت- 1422هـ- 2002م، [ص 25- 26].
- 8- ينظر بتفصيل في هذه الأقسام: مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية، الدكتور فريد الأنصاري، [ص: 53- 87].
- 9- مستخلصا ومستقادا من كتاب: مفهوم العالمية من الكتاب إلى الريانية، فريد الأنصاري، [ص: 53- 81].
- 10- ينظر: مفهوم العالمية، للدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، [ص: 81- 92].